محاضرات في النص النثري الجزائري الحديث

السنة الثالثة ليسانس أدب جزائري

أستاذ المادة أ.د سعيد خليفي

المحاضرة الأولى

فنون النثر وأنواعه:

قبل أن نتحدث عن النص النثري الجزائري الحديث وأنواعه وفنونه، لا بأس أن نتعرف على مفهوم النثر وأقسامه وأشكاله التي تمظهر بها في الأدب بشكل عام وفي الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم بشكل خاص، فالنّثر لغةً هو نثر الشّيء، أي رميه مُتفرّقاً، أو كلام بلا وزن أو قافية، وهو نوع من أنواع الأدب، ويُقسم إلى قسمين: الأول هو النّثر العادي المستخدم في لغة التّخاطب والكلام الاعتياديّ، وأمّا القسم الثّاني فهو النّثر الذي يرتقي فيه أصحابه إلى لغةٍ فيها فنّ وبلاغة كبيرة، وهذا النّوع من النّثر هو الذي يهتمّ النُقّاد ببحثه ودراسته، وبحث ما يمتاز به من صفات وخصائص، وهو ما يطلق عليه النّثر الفنيّ، وبما أنّ النّثر هو كلام غير موزون أو مُقفّى، فقد تعدّدت أنواعه وفنونه، واختلفت باختلاف الزّمان والمكان والاستخدام، ويحتوي النّثر الكثير من الفنون، منها ما يندرج ضمن أشكال نثرية تقليدية مثل الخطب والرسائل وأدب الرحلات، ومنها ما يصنف ضمن الفنون الأدبية الحديثة مثل الرواية والقصة والمقال... ومما يجب الإشارة إليه أن هذا التصنيف ليس دقيقا باعتبار أن هناك أشكالا قديمة لا تزال قائمة إلى اليوم مع بعض التحوُّر والتطور بما يتماشى مع خصوصية المرحلة...

أولا: الأشكال النثرية التقليدية

الخطابة: وهي الفن في مُخاطبة النّاس وإقناعهم عن طريق الكلام المختَصر والبليغ الذي يحمل وقعاً في النّفس عند سماعه، وهي أقدم فنون النّثر في الأدب العربيّ، ولها ثلاثة أجزاء تتكوّن منها الخطبة، هي المقدّمة، والموضوع، والخاتمة، تتميّز الخطابة بقصر الجمل، وقلّة التّصوير البيانيّ، وسهولة الأفكار ووضوحها ، وجمال الكلمات وروعة التّعبير، ومن أروعها وأحسنها وأبلغها خطبة حجة الوداع لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم...

ـ المطلوب الاطلاع على هذه الخطبة الفريدة، والتعرف على خصائصها ومميزاتها...

الأمثال: تُعد الأمثال عنصراً أساسيّاً في تكوين الهويّة والتّراث الثقافيّ للشّعوب، فلكل أمّة أمثال تُميّزها عن غيرها من الأمم، والمثل قول صياغته مُحكَمة، وقليل الكلمات، ومُوجز العبارة والتّعبير، له مورد ومضرب، يُلخّص تجربةً إنسانيّةً عميقةً، ويضرب في الحوادث المشابِهة له، ويكون باللّغة الفصيحة أو العاميّة...

الحِكَم: هي قول مُوجز مشهور رائع التّعبير، يهدف عادةً إلى الخير والصّواب والرّشد في التصرّف، يحتوي على تجربة إنسانيّة كبيرة، من خصائص الحكمة قوّة اللّفظ، ودقّة التّشبيه وروعته...

الوصايا: من أنواع النّثر التي عُرِفَت في الجاهليّة، وهي قول حكيم صادر عن خبير يُوجّه إلى من يُحبّ ليستفيد منه، أو من هو أقلّ منه تجربةً، سُمِّيت بالوصيّة لاتّصالها بالميّت، وأجزاء الوصيّة كما الخطابة؛ العُقدة، والموضوع، والخاتمة، تتميّز الوصايا بالإيقاع الموسيقيّ، ودقّة الألفاظ وجمالها، وتنوُّع الأسلوب، وسهولة الفكرة المطلوبة ووضوحها، ومن الوصايا الخالدة وصية أبي الأصبع العدواني في الجاهلية...

ـ المطلوب الاطلاع على هذه الوصية الرائعة، واستنتاج أهم خصائص الوصية في تلك الفترة وأهم خصائصها...

المحاضرة الثانية

السير والتراجم: تتحدث كتب السير عن سيرة حياة فرد، وغالباً ما يكون هذا الفرد رجلاً عظيماً، أحدث نقلة نوعية في التاريخ، كالأنبياء والملوك والعلماء وقادة الجيوش وغيرهم ممن لهم أعمال تستحق أن تنتقل للأجيال اللاحقة، وذلك لأهداف تربوية على المستوى التربوي والتعليمي، أو للفخر بها على مستوى الأوطان والأعراق كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام، وسيرة بني هلال وكتاب البلغة في تراجم أئمة النحو للفيروزابادي...

المقامات: هي مجموعة حكايات قصيرة متفاوتة الحجم، جمعت بين النثر والشعر بطلها رجل وهمي، عرف بخداعه ومغامراته وفصاحته وقدرته على قرض الشعر وحسن تخلصه من المآزق، إلى جانب أنه شخصية فكاهية نشطة تنتزع البسمة من الشفاه والضحكة من الأعماق، ويعدّ كتاب المقامات أشهر مؤلفات بديع الزمان الهمذاني الذي له الفضل في وضع أسس هذا الفن وفتْح بابه واسعاً ليلجه أدباء كثيرون أتوا بعده.. وتمتاز المقامة بالأسلوب السهل، واللفظ الرقيق، والسجع القصير دون أدنى عناء أو كلفة...

الرسائل: يعد فن الرسائل عند العرب من الفنون الأدبية القديمة، ازدهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وفيهما انتشر صيته، وهو فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية القوية، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يبعث بها إلى زعماء المناطق، ورؤساء القبائل، وملوك الدول كما فعل مع كسرى عظيم الفرس، وقيصر عظيم الروم.

وعندما قامت الدولة الإسلامية أنشئ ديوان الرسائل، وهذا الديوان يعنى بشؤون المكاتبات التي تصدر عن الخليفة إلى ولاته، وأمرائه، وقادة جنده، وملوك الدول الأخرى، وهذا النوع يسمى بالرسائل الديوانية، وكان أسلوبها آنذاك تغلب عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنع والنوع الثاني يطلق عليه الرسائل الإخوانية وهي التي يتبادلها الأصدقاء والإخوان، ومن

الذين برعوا في هذا الفن عبد الحميد بن يحي الكاتب، الذي عُرف بالبراعة في فن الترسل حتى غدت مكاتباته مضرب المثل في الجودة والإتقان حتى قيل "بدأت الكتابة بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد"...

أدب الرحلة: هو نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان. وتُعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة ومسلية. عدد كبير من الروايات والقصص يمكن أن يندرج بصورة ما تحت مسمى أدب الرحلات، فهذا المسمى الواسع كما نرى قادر على استيعاب أعمال ابن بطوطة وأرنست همنجواي ونجيب محفوظ، رغم التباين الكبير فيما بينهم؛ لكن الفكرة التي تجمعهم هي فكرة الرحلة نفسها، الرحلة الزمانية أو المكانية أو النفسية، ومن أنواعها الرحلات التجارية والرحلات العلمية والرحلات الدينية وغيرها...

المحاضرة الثالثة

ثانيا: الأشكال النثرية الجديدة

الرّواية: فن نثري ظهر حديثا، وهي أكثر أنواع القصص طولاً، وذلك لأنّها تحتوي على أحداثٍ وتفاصيلَ كثيرة ودقيقة، وكذلك تحتوي على عدد أكبر من الشخصيّات، كما يتّم استخدامها لمناقشة قضيّة مُعيّنة أو مجموعة من القضايا المترابطة، وتمتاز الرّواية بمجموعة من الصّفات والمميّزات، منها تعدُّد الأحداث والشّخصيات والأزمنة، وتكون أحداث الرّواية معروضة بأسلوب روائيّ مُتسلسل وشيّق، وبالاعتماد على هذه الأحداث يتمّ وضع حبكة الرّواية وقصّتها، كما أنّ الرّواية تخلق في نفس القارئ انطباعاتٍ ومشاعرَ عديدة، وهي مُستمدّة من الأحداث الموجودة في الرّواية، ويُقاس جمالها بدقّة التّفاصيل المروِيّة عن الشخصيّات وصفاتها، وحبكة الرّواية، وترابط الأحداث والزّمان، وحسن توظيف الأمكنة التي تدور فيها الأحداث وتتحرك فيها الشخصيات...

ـ المطلوب التعرف على أشهر الروائيين في العالم وفي الجزائر وأهم الروايات العالمية...

المقالة : وهناك من يذكرها (المقال)، وهي فن نثريّ عبارة عن قطعة إنشائيّة طويلة تُكتب نثراً، تُعالِج موضوعاً مُعيّناً من وجهة نظر الكاتب، وتتكوّن من ثلاثة عناصر، هي المادة، والأسلوب، والخطّة، تُقسم المقالة إلى أنواع كثيرة ومُتعدّدة، منها المقال العلميّ، والمقال الأدبيّ، المقال السياسي والاجتماعي والمقال الفلسفي والمقال الديني...

المسرحيّة: هي إحدى أشكال النّثر الأدبيّ ومن أقدم الفنون التي عرفها الإنسان في تاريخه، يقوم هذا الشّكل الأدبيّ على تجسيد قصة أو رواية على خشبة المسرح، يكتبها المؤلّف ويُمثّلها الممثّلون ضمن حوار أدبيّ، تتكوّن المسرحيّة من أربعة عناصر، هي الحدث، والشخصيّات، والأغراض، والحوار، ولها أنواع مُتعددّة ومُختلفة في المضمون والشكل، ومنها الملهاة، والدّراما، والمأساة، تُشبه إلى حدّ ما القصة، لكنّها تختلف في تجسيد أحداثها من قِبَل الممثّلين أمام الجمهور بشكل مُباشر.

القصّة: هي فن نثريّ مُتميّز ومشهور جدّاً، عبارة عن أحداث تتناول حادثةً واحدةً، أو عدداً من الوقائع، بحيث تتعلّق هذه الوقائع بشخصيّات إنسانيّة منها وأُخرى غير إنسانيّة، تُقسم القصّة إلى قسمين حسب أحداثها، هما حقيقيّة واقعيّة، وخياليّة خُرافيّة، وممّا تتميّز به القصّة أنّها تُصوّر مُدّةً زمنيّةً كاملةً من حياة خاصّة؛ فهي تعرض سلسلةً من الأحداث الهامّة والشيّقة وفقاً لترتيب مُعيّن، تتكوّن القصّة من عدّة عناصرَ، هي الاقتباس، والأحداث، والحبكة، والتّشويق، والحوار، والخبر، والأسلوب، وتتناول العديد من المواضيع المختلفة، مثل الفروسيّة، وتاريخ القبيلة، والنّصر في المعارك، وقصص من واقع الحياة الاجتماعيّة اليوميّة، والقصص الخرافيّة، والأساطير...

المحاضرة الرابعة

نشأة النثر الجزائري الحديث:

ساهمت الجزائر في إقامة صرح الأدب العربي، بما أنتجه أبناؤها من أعمال فنيّة، أبدعوها على مرّ العصور، فجاءت ناقلة لروح الفرد الجزائري ومترجمة لأحداث بيئته، وهذا الأمر تؤكده مختلف النّصوص الأدبيّة، سواء كانت شعرا أو نثرا، ومثلما قامت دولة الشّعر في الجزائر، على يد أعلام اِتّخذوا الكلام الموزون والمقفى قالبا لإبداعهم، مسجّلين أسماءهم بوضوح في صفحات تاريخ الحياة الأدبية الجزائرية، كبكر بن حمّاد والإمام أفلح وعليّ بن أبي الرّجال ومحمد الهادي السّنوسي الزّاهري والأمير عبد القادر ومحمد العيد آل خليفة ورمضان حمّود ومفدي زكريا والأمين العمودي وأحمد سحنون وغيرهم كثير، فإنّنا نجد كذلك لفيفا من الأدباء آثروا الكلام المرسل على القريض، مخلّفين دُرراً ونفائس في ميدان الكتابة الفنيّة، فأرسوا بذلك قواعد دولة النثر الجزائري، وما من شك في أنّ النّثر الجزائري، هو الآخر ذو بدايات وجذور تعود إلى القديم، ليستمر الخوض فيه إلى غاية العصر الحديث، فواكب مختلف الأحداث التي شهدتها الجزائر كالاحتلال والمقاومة والإصلاح والثّورة والاستقلال وبناء الدّولة والإرهاب وغيرها من الوقائع التي انطبع بها المجتمع الجزائري وميّزته عن غيره من المجتمعات الأخرى.وإذا جئنا نتحدث عن النّثر الجزائريّ الحديث، فإنّنا سنشير إلى جملة من الأشكال النّثريّة التي تكوّنه، علما أنّنا نميز فيها فنونا تقليدية وأخرى جديدة، إلاّ أنّ جميعها استقطبت أقلام الكتّاب والمبدعين، وتتلخص الفنون النّثرية التقليدية في الخطب والرسائل والمقامات والمناظرات وأدب الرّحلة وغيرها، وقد أثريت من قِبل عدد من الكتّاب مثل الطيّب العقبي والورتيلاني وحمدان خوجة ومحمد الشّاذلي القسنطيني، مثلما سار آخرون قدما بالفنون النّثرية الجديدة التي تتمثل في المقال والرّواية والقصة والمسرحية...ويرى أصحاب الدّراسات النّقدية أنّ النّثر الجزائري الحديث، يمثّله اِتجاهان: اِتجاه محافظ وآخر مجدّد، ولكلّ منهما خصائص فنيّة، انطبعت بها كتابات روّادهما، ليتواصل بعد ذلك تطوره في الفترة المعاصرة تحت وطأة ظروف اجتماعية جديدة ومغايرة عمّا كان سائدا في السّابق، علما أنّنا نلمس هذا التّطور فيما أنتجه فريق من الكتّاب الذين واكبوا المرحلة الجديدة التي شهدتها الجزائر، إذ لم تعد موضوعات الثورة ومنجزاتها هي المسيطرة على أقلامهم، وإنّما توجهوا إلى قضايا المجتمع وما صار يكتنفه من تناقضات، مثلما تجسّده لنا أعمال الطّاهر وطار وابن هدوقة وواسيني لعرج وأحلام مستغانمي...

المحاضرة الخامسة

أهم أنواع النص النثري الجزائري:

1 ـ المقال الأدبي: المقالة الأدبية جاءت متأخرة عن المقال الصحفي، فإذا كان الدارسون يذهبون إلى أن المقال الصحفي قد نشأ في منتصف القرن التاسع عشر، فإن المقال الأدبي يرجع إلى القرن العشرين، ذلك أن الصحافة العربية في الجزائر في القرن التاسع عشر كانت تخضع لإشراف الإدارة الفرنسية أو لمستشرقين و الذي كان يعني هؤلاء جميعا هو الخبر يساق في أسلوب بسيط ليصل إلى الناس، ثم أن الكتاب الجزائريين ما كان يمكن لهم في هذا الجو أن يعبروا عن أحاسيسهم ومشاعرهم سواء فيما يتصل بالمجتمع وقضياه، أو فيما يخص الطبيعة والحياة بوجه عام، وإنما تم ذلك حين نشأت الصحافة الوطنية في بداية هذا القرن العشرين، وأنشأ الجزائريون صحفا تعبر عن أفكارهم ومواقفهم وتعبر بالتالي عن ذواتهم وآرائهم فيما يتعلق بالشعب الجزائري ومطالبه المشروعة، و لا شك أن ظهور الصحافة الوطنية في وقت متأخر يرجع إلى أسباب كثيرة، من بينها انعدام الحرية تحت الاحتلال، فالمصادرة للحريات السياسية والتعبير والاجتماع، كانت من بين العوامل التي أخرت ظهور الصحافة الجزائرية، التأثير في الوجدان، ثم التعبير عن الذاتية أو شخصية أضف إلى ذلك مشكلة الطباعة والنشر، فإن هناك عوامل أخرى أسهمت في ظهور المقال الأدبي، مثل الصلة بالمشرق واقتفاء الكتاب والأدباء لأثر المشارقة إلى جانب الحركات السياسية والإصلاحية التي قامت بدور هام في هذه اليقظة الفكرية، الأمر الذي أسهم في أن تتعدد الأساليب، وتظهر الأشكال الأدبية مثل المقال الذي ظهر ليعالج مشاكل سياسية ثم إصلاحية ثم أدبية إصلاحية، ثم أدبية صرفة، بحيث يمكن أن نقول إن إيمان الكتاب بدور المقال في الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية قد أسهم في انتشاره، وساعد على تطوره، فقد نشأ أولا وأخيرا في أحضان الحركة الإصلاحية التي كان كتابها يصدرون عن رؤية دينية إصلاحية، و ينفعلون بما يكتبون، و يعبرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه المجتمع والحياة، و من ثمة بدأ المقال الإصلاحي يتجه إلى مخاطبة العاطفة للتأثر على النفوس من أجل إيقاظها من غفلتها.. وقد كان العامل الأساسي الذي ساعد على وجود المقال في الجزائر في تلك الفترة وتطوره وانتشاره هو عامل الصحافة التي ساهمت في إذاعة هذا الشكل النثري، كما ساعدت على إذاعة غيره من أشكال التعبير نثرا وشعرا، وأهم الصحف التي استوعبته في البداية هي الصحف الإصلاحية وعلى رأسها صحف جمعية العلماء المسلمين التي ضمت رجال الفكر الإصلاحي وهم الذين تأثروا بالثقافة العربية وبتراثها العريق وبنهضتها الحديثة في شتى الميادين الثقافية والأدبية والفكرية، فهؤلاء يمكن أن نميز فيهم نوعين من كتاب المقالة:

–النوع الذي اهتم بالفكرة وتوصيلها بأسلوب صريح مباشر وباهتمام باللغة من حيث مفرداتها، وأيضا من حيث أصالتها وقدرتها على تبليغ الأفكار، بل والعناية ببعض خصائص الأساليب العربية والبيان العربي، دون اهتمام كبير بجمال التعبير وصياغته صياغة يقصد من ورائها اللذة الأدبية، وهذا النوع هو الأكثر، أو هو النموذج الغالب في الكتابات الإصلاحية، ويأتي في مقدمة هؤلاء الشيخ (عبد الحميد بن باديس) و(العربي التيسي) و(مبارك الميلي)، وإلى حد كبير (عمر راسم) و(الطيب العقبي) وغيرهم من كتاب المقال الإصلاحي الذي يغلب عليهم الطابع الذهني و الروح الدينية الواضحة، وقليل من العناية بالجانب الفني الأدبي...

–أما النوع الثاني من كتاب المقالة الإصلاحية فهم أولئك الذين عنوا، إلى جانب الفكرة ، بالتعبير والتصوير، واهتموا باللغة وحدها لا من حيث نقاؤها وصفاؤها ومرونتها كما فعل السابقون، بل عنوا بها من حيث الإيحاء وجمال التعبير ومراعاة الصور البيانية، ومن كتاب هذا الشكل الثاني يمكن التمييز بين نوعين منهم:الأول: هو الذي لاءم بين الفكرة والأسلوب العربي التقليدي والبلاغة العربية القديمة، ويأتي في مقدمتهم الشيخ (محمد البشير الإبراهيمي)...أما الثاني: فهو الذي حاول أن يجدد

في الصياغة والمحتوى معا، ويمثل هذا التيار (أحمد رضا حوحو)، و(رمضان حمود) وغيرهما ممن عبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الطبيعة أو تجاه الحياة بوجه عام، وحاولوا من خلال المقال أن يعكسوا إحساسهم بجمال الكون أو يصوروا تجربتهم في الحياة...

ولا يغيب عن البال أن المقالات التي كتبها مصلحون حول المجتمع الجزائري، أو حول القضايا العربية أو العالمية تعبر عن وجهة نظر إصلاحية يغلب عليها الطابع الديني، أما المقالات السياسية التي كتبها كتاب ينتمون إلى الحركة الوطنية، فإن العناية فيها انصبت على المشاكل السياسية وعلى محاربة الاستعمار وأساليبه الإرهابية والدعوة إلى الوقوف ضد مشاريعه الاستغلالية...

ـ المطلوب التعرف على أشهر كتاب المقال في الجزائر وأهم خصائص المقال ومظاهر التجديد فيه...

المحاضرة السادسة

2 ـ القصة: أتت القصة القصيرة الجزائرية متأخرة عن القصة في المشرق العربي لظروف تتصل بالثقافة العربية، وبالأدباء أنفسهم وبثقافتهم الخاصة وتكوينهم الفكري الذي ارتبط بالتراث ارتباطا كليا منذ البدايات الأولى للنهضة الأدبية في الجزائر، وارتباط الأدب بالحركة الإصلاحية، بدعوتها ومبادئها وأهدافها، وهي في مجملها تستند إلى الدين والإصلاح، وتتسم بالمحافظة في النظرة والرؤية، ومن ثم فإن الأدباء الذين اعتنقوا هذه الفكرة حصروا أنفسهم في نطاق ضيق لم يستطيعوا الخروج عنه، وبالتالي لم يحاولوا أن يجربوا في مجال الفنون الأدبية الجديدة مثل القصة القصيرة، وقد تأخر ظهور القصة لأسباب كثيرة ومختلفة نوجزها على النحو التالي:

أ . الاستعمار الذي وضع الثقافة القومية في وضع شل فاعليتها وحركتها، مما نتج عنه تأخر الأدب الجزائري عامة ولا سيما أحدث فنونه وهي القصة القصيرة، وقد كان اضطهاد اللغة العربية ومحاولة القضاء عليها من قبل الاستعمار الفرنسي عاملا أساسيا في تخلف الأدب وتأخر القصة، فقد جاء رد الفعل من محاولات الحفاظ عليها كلغة البلاد القومية، لغة الثقافة والعلم و الدين، محاولات نعلم جميعا مدى ما استلزمت من تضحيات وجهود شاقة مريرة، و لكنها لم تضع في حسابها ضرورة تطويرها وجعلها لغة صالحة للأدب و أداة مرنة طيعة له...

ب – التقاليد، وأبرزها ما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع، إذا كانت مغلقة لا يسمح لها بالاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، ولهذا كان من الصعب أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة، أو أن تتعرض إلى هذا الموضوع..

ج – ضعف النشر ووسائل الطباعة للأسباب المعروفة..

د – انعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب القصاص كي يكتب و ينتج و يجرب..

هـ – عدم وجود المتلقي لهذا الإنتاج لو صدر، وكيف يوجد في ظل الأمية التي فرضتها سلطات الاستعمار الفرنسي على شعب الجزائر كي يظل متخلفا..

تطور القصة القصيرة في الجزائر:

يمكن حصر العوامل التي أدت إلى تطور القصة القصيرة الفنية في الجزائر في أربعة نقاط:

1 ـ اليقظة الفكرية: إن من أهم الأسباب التي أثرت في تطور القصة القصيرة في الجزائر هي اليقظة الفكرية التي صاحبت اليقظة السياسية عقب الحرب العالمية الثانية وانتفاضة ماي سنة 1945.. فهذه اليقظة كانت تعبيرا عن موقف حضاري أحس فيه الشعب الجزائري إحساسا عنيفا بشخصيته وقوميته وعروبته وماضيه، فظهرت القصة القصيرة التاريخية التي تلح على

مقومات الشخصية الجزائرية، رغم أن إنتاجها كان نزرا يسيرا.. وقد جاءت هذه اليقظة نتيجة تحرر الشعوب عامة، ونتيجة مشاركة الشعب الجزائري في الحرب خاصة، هذه الحرب التي كانت نهايتها قتل الجزائريين بالجملة في مظاهرات ماي الصاخبة التي قوبلت من جانب الاستعمار بالقمع و التنكيل...

2 ـ البعثات الثقافية للمشرق العربي: اتسع نطاق هذه البعثات بصورة أكثر عن ذي قبل، وتوثق الاتصال بالأقطار العربية التي فتحت صدرها للجزائريين ليدرسوا في مدارسها وجامعاتها، فاتصلوا بالثقافة العربية في منابعها، والثقافة الأجنبية في ترجماتها، واطلعوا على نماذج من القصة القصيرة العربية التي كانت قد بلغت درجة من الجودة والإتقان، ووجدوا في هذه البيئات تفتحا أكثر..

3 ـ الحافز الفني لكتابة القصة: بدأ الأدباء في محاولات جادة لكتابة القصة القصيرة في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات، وهي الفترة التي بدأ فيها التطور القوي لها، ولكن هذه المحاولة تعددت حوافزها، فهناك من كتب بدافع ملء الفراغ، والشعور بأن الأدب الجزائري قد خلا من القصة القصيرة، وهناك من كتب القصة للتجربة، أو بدافع الحماس بسبب الثورة، فأراد أن يسجل أحداثها أو يصور بعض أبطالها، ولكن هناك من كتب القصة بدافع فني، بدافع أدبي يحقق فيه ذاته ووجوده، وهذا النوع هو الذي استطاع أن يساهم في تطور القصة القصيرة الجزائرية، وأن يوصل التجربة في هذا المجال..

4 ـ الثورة: لا شك أن الثورة فتحت مجالا أكثر لكُتّاب القصة القصيرة، فغيرت كثيرا من نظرتهم إلى الواقع، فبعد أن كان الحديث عن الواقع لا يعدو أن يكون تسجيلا له، أصبح التعبير عن هذا الواقع وتصويره هو هدف كتّاب القصة القصيرة، فظروف النضال كشفت للكتاب عن إمكانيات ضخمة وتجارب جديدة دفعتهم للبحث عن جديد، سواء أكان ذلك في الموضوع أو في المضمون أو في الشكل، وظهرت موضوعات جديدة تتحدث عن الاغتراب وعن الهجرة، وعن الحرب والثورة و آثارهما، تدين الاستعمار، وتصور مشاركة المرأة في الثورة والنضال، ومن هنا ظهر في القصة البطل الإنسان الذي يخاف و يتغلب على خوفه، و اختفى البطل الفريد الخارق للعادة..

وعموما يمكن القول بأن كتاب القصة القصيرة الفنية، أو بعضهم على الأقل، في هذه المرحلة عنوا بهيكل القصة وبنائها، الأمر الذي يوضح وعيهم بفن كتابتها، وهذا لا يعني أن القصة القصيرة قد توفرت فيها كل الخصائص أو السمات الفنية، وإنما يعني أنها خطت خطوة جديدة في تطورها، واقتربت كثيرا من النضج، وإلى جانب هذه النماذج الجيدة وجدت قصص أخرى ساذجة لم ترق إلى مستوى القصة الفنية...

ـ المطلوب التعرف على أشهر كتب القصة وفي الجزائر وأهم مضامينها...

المحاضرة السابعة

3 ـ الرواية العربية: كان ظهور الرواية في الجزائر متأخرا إذا ما قيس بالأشكال الأدبية الحديثة الأخرى مثل المقال الأدبي والقصة القصيرة والمسرحية، بل إن هذه الأشكال الجديدة تعتبر حديثة بالقياس إلى مثيلاتها في الأدب العربي الحديث، ولا شك أن الناس تعودوا قراءة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة بالفرنسية، وترجمت معظم الروايات بهذه اللغة إلى العربية، وبات الناس يرددون أسماء كتابها و يعرفون عنهم الشيء الكثير، بينما لا يكادون يعرفون عن كتاب النثر الجزائري الحديث إلا قليلا، ولعل هناك ظروفا كثيرة أسهمت في جعل من يكتب باللغة العربية مجهولا إلى حد ما، في حين أنها أسهمت في التعريف بمن يكتب باللغة الفرنسية في الجزائر، حتى إن بعض الدارسين للأدب الجزائري الحديث في البلاد العربية، حين عرضوا لهذا الأدب،

درسوا الآثار المكتوبة بتلك اللغة الأجنبية ولم يشيروا، من قريب أو بعيد إلى من يكتب باللغة العربية، فضلا عن الباحثين في البيئات الأوربية شرقا وغربا، الذين احتفلوا بالأدب المكتوب باللغة الفرنسية في الجزائر، حتى إن بعضهم اعتبر أن الكتاب الفرنسيين الذين ولدوا فوق التراب الجزائري هم من الكتاب الجزائريين، و ذهبوا مذاهب شتى في البحث عن الأدلة التي ساقوها لتأكيد غرضهم، وقد أسهمت في هذه الضجة التي أثيرت حول هذا الأدب عوامل شتى، منها أن أجهزة الإعلام والثقافة الفرنسية قد روجت لهذه الفكرة، لتظهر أن الثقافة الفرنسية خلقت كتابا بارزين في الجزائر، وأن الاستعمار لم يكن كله شرا، و أن ما زرعه هذا الاستعمار من حضارة في الجزائر، حسب زعمه، قد أثمر هذه النماذج الأدبية الجيدة شعرا ونثرا، واحتفلوا بكتابه وقدموا لهم الجوائز التشجيعية، ليس تقديرا لتفوق الكتاب الجزائريين، ولكن للدعاية وتشجيع الأدب الفرنسي، طالما هناك هؤلاء الكتاب يعبرون باللغة الفرنسية.. وقد أثر هذا الموقف على الدارسين للأدب الجزائري في بيئات أخرى فترجموه، ولكن بعضهم أعجب بما فيه من أصالة وعمق، و بما فيه من مضامين جديدة، خاصة وأن معظمه دار حول الثورة وحول الشعب الجزائري ونضاله ضد الاستعمار، وعبّر عن ذلك بجرأة و قدرة وفهم عميق لمطامح الشعب الجزائري و أشواقه وتطلعاته للحرية والاستقلال، يضاف إلى هذا أن المهتمين بالأدب الجزائري عامة، سواء من الجزائريين أو من غيرهم، لم يعرِّفُوا به إلا في السنوات الأخيرة لأسباب كثيرة.. أما فيما يتعلق بالرواية العربية الجزائرية فإن للنقاد عذرهم في عدم الحديث عنها، لأنها ظهرت أخيرا، فهي من مواليد السبعينات، بالرغم من بذور ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية، سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني، فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها أحمد رضا حوحو وسماها غادة أم القرى، وهناك غيره من كتاب الرواية.. أما تأخر ظهور الرواية الفنية إلى فترة السبعينات، فيرجع إلى أن هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة، ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به، وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية أدبا عربيا اتجهوا إلى القصة القصيرة، لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي، خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغييرا عميقا في الفرد، فكان أسلوب القصة ملائما للتعبير عن الموقف، أو عن اللحظة الآنية، وعن التجربة المحدودة بحدود الفرد، أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع ورحابة واسعة تحتاج إلى تأمل طويل، وفوق هذا فإن كتّاب الرواية في الجزائر لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها، أو ينسجون على منوالها، كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثا غنيا ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي، ومع ذلك فإن كتاب الرواية العربية قد أتيح لهم أن يقرؤوا في لغتهم عيونا واسعة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة، ولكنهم لم يتصلوا بهذا الإنتاج إلا في فترة قريبة بسبب الظروف التي عاشوها وعاشتها الثقافة العربية في الجزائر، لذلك فإن البدايات الحقيقية التي يمكن أن تدخل في مفهوم الرواية هي التي ظهرت منذ سنوات قليلة، أي في السبعينات بداية من (ريح الجنوب) للكاتب القصصي (عبد الحميد هدوقة) قصة (ما لا تذروه الرياح) لمحمد عرعار، ثم ظهرت بعد ذلك روايتان (للطاهر وطار) وهما على التوالي (الزلزال) ثم (اللاز)، ثم توالت بعد ذلك كتابات كثيرة للرواية العربية الجزائرية التي تميزت بالنضج الفني في عمومها، وظهر روائيون شباب حملوا مشعل الكتابة السردية في الجزائر بداية من ثمانينيات القرن الماضي...

ـ المطلوب التعرف على أشهر الروائيين في الجزائر واذكر عناوين بعض الروايات ومظاهر الحداثة فيها...

المحاضرة الثامنة

4 ـ المسرحية: بعض الدارسين للمسرح الجزائري الحديث يعتبرون أن ميلاد المسرح الجزائري تم ما بين 1919-1927، أي أن البدايات الأولى ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، حيث ظهرت الحاجة إلى مسرح يعالج الواقع الجزائري ويصطنع اللغة

والتمثيل، ويهتم بالمسرح أداة للنقد، وبالفكاهة سبيلا لترقية الذوق والشعور.. غير أن الباحثين يكادون يجمعون على أن انطلاق المسرح الجزائري بدأ في سنة 1926، وهي السنة التي حاول فيها الجزائريون خلق مسرح عربي يستخدم اللغة العربية الفصحى وسيلة للتعبير والتمثيل، وهذه الخطوة تندرج في مجال المحاولات التي قام بها رواد المسرح العربي في بلدان عربية أخرى، مثل سوريا ومصر منذ القرن التاسع عشر، وهذه المحاولة تنبع من الفكرة التي تدعو إلى النهضة الحديثة التي تستفيد من الغرب ومن تقدمه الثقافي والحضاري، غير أن هذا المسرح توقف لعدم فهمه من قبل الجمهور الجزائري في تلك الفترة الذي كان أغلبه من فئة الأميين، مما نتج عنه توقف المسرحية باللغة العربية ليحل محله مسرح جزائري استخدم اللهجة العامية حتى قيام الثورة بل وأثناءها وما بعد الاستقلال..

وقد تحدث الباحثون عن المراحل التي مر بها المسرح الشعبي أي باللهجة العامية، واعبروا أن المرحلة الأولى تبدأ من عام 1926 إلى سنة 1934، وهي مرحلة عُني فيها المسرح بالمشاكل الاجتماعية، ومالت المسرحية إلى الفكاهة في أسلوبها وإلى الهزل في طريقة التعبير فيها، أما المرحلة الثانية فتمتد ما بين 1934 إلى قيام الحرب العالمية الثانية، وفي تلك المرحلة قام (رشيد القسنطيني) بدور أساسي ممثلا ثم مؤلفا وممثلا واتجه إلى النقد بأسلوب فكاهي هزلي مما أثار السلطة الاستعمارية فضيقت عليه الخناق و فرضت على المسرح الجزائري الرقابة الشديدة، غير أن هذا المسرح توقف نوعا ما أثناء الحرب العالمية، ويرى بعض الباحثين أن المسرح الجزائري بعد سنة 1945 وهي السنة التي انتهت فيها الحرب ووقعت فيها حوادث ماي 1945 بالجزائر واستشهد فيها آلاف مؤلفة من الجزائريين حين طالبوا بالحماية والاستقلال، هذه الفترة تعتبر لدى بعض الباحثين بداية للمسرح الجاد الذي استمر أثناء الثورة، وأنشئت غرفة تابعة لجبهة التحرير الوطني قدمت عروضا خارج الوطن، وبعد الاستقلال تنوعت هذه الفرق من هواة ومحترفين وواكبت النهضة الأدبية والاجتماعية وعبرت عن القضايا التي حدثت بعد الاستقلال حتى اليوم، ويمكن أن نميز ثلاث اتجاهات في المسرح الجزائري العربي الحديث، الاتجاه التاريخي، والاتجاه الاجتماعي، والاتجاه الثوري النضالي، هذه بصفة مقتضبة الجوانب الهامة التي تكون الرصيد الأدبي للمجتمع الجزائري، والتي يمكن أن تكون جزءا من الرصيد الثقافي العام الذي يمثل الذاكرة الجماعية لهذا الشعب عبر التاريخ...

ـ المطلوب الاطلاع على نماذج من المسرح الجزائري خاصة في بداياته الأولى للوقوف على أشكاله ومميزاته الفنية والتعرف على رواده وأعلامه...

المحاضرة التاسعة

5 ـ المقامة: لما كان النثر الجزائري الحديث قد ارتبط بالتراث العربي وخاصة في الأشكال التي ظهرت منذ القدم، فإنه من الطبيعي أن يكون شكل المقامة في هذا النثر، وأن يكتب الأدباء الجزائريون مقامات أدبية بصرف النظر عن مستواها الفني، كما أنه كان من الطبيعي أيضا أن يطوعوا هذا الشكل لأفكار جديدة تناسب العصر وأن يتجاوزوا وظيفة المقامة التقليدية، هي العناية باللغة العربية وأساليب البيان العربي فيها، إلى نقد الواقع ورصد حركة المجتمع وتطوره الفكري والثقافي والاجتماعي، كما حدث في بداية هذا القرن حين استخدم كثير من الأدباء العرب هذا الشكل للتعبير عن مشاكل المجتمع وقضياه مثل (المويلحي) في (حديث عيسى بن هشام) وغيره من الكتاب المحدثين، وهناك كاتب جزائري ظهر في وقت مبكر وبرع في هذا اللون من الكتابة الأدبية، ونوه الدارسون بآثاره في النثر وهو (محمد بن محرز الوهراني) الذي كتب مقامات ومنامات و رسائل أدبية صور فيها بصدق وبعبارة قوية بعض جوانب الحياة في المجتمع العربي في عصره (عصرالأيوبيين)، وقد ظل (الوهراني) زمنا

طويلا مجهولا بالنسبة للكثير من الدارسين، ولكنه في السنوات الأخيرة وجد من يعنى به وبآثاره، بل أصبح موضوعا لبحوث جامعية في الشرق العربي، والواقع أن الدارسين يفرقون بين (المنام) و(المقامة)، فالأول غالبا ما يكون أشخاصه ممن تستحيل رؤيتهم مثل شخصية الرسول أو الصحابة، أما المقامة فإنها مستقاة من واقع الحياة ومن واقع العصر الذي عاش فيه المؤلف، وفي العصر الحديث يمكن التمييز بين أنواع ثلاثة من المقامات في النثر الجزائري، المقامة الصوفية والأدبية والإصلاحية ثم الشعبية، أما المقامة الصوفية فقد عبر فيها أصحابها عن نزعاتهم الروحية مثلما عبروا عن ذلك بالشعر، ويعد (الأمير عبد القدر) ممن عالج الأمرين معا الشعر والنثر الصوفيين، وكتب ما يمكن أن يعد مقامة أدبية صوفية نشرها في كتابه (المواقف)، وصور فيها الموضوع الذي أرق المتصوفة طويلا وهو موضوع (الحقيقة الإلهية)، وكيف أنها تدرك بالذوق لا بالعقل، لذلك فإن البرهان عليها بالأدلة العقلية مستحيل...

ـ المطلوب الاطلاع على نماذج من منامات الوهراني وكتاب المواقف للأمير عبد القادر...

6 ـ المناظرة: لم تتمظهر المناظرة في النثر الجزائري الحديث فقط بل في الشعر أيضا، (فالأمير عبد القدر) فاضل بين البادية والحاضرة بقصيدة وانتصر فيها للبداوة في النهاية، وبالنسبة للنثر فإننا لم نعثر على هذا الشكل الأدبي قبل مناظرة الشيخ (محمد عبد الرحمن الديسي) التي أطلق عليها مناظرة بين العلم والجهل، على أننا لا نستبعد إطلاقا أن يكون هناك من كتب مناظرات قبل هذا الأديب، لأننا ندرك أن الأدباء في القرن الماضي بوجه خاص قلدوا الأقدمين في الأساليب الأدبية شعرا و نثرا، مثل الرسائل و الخطب و الرحلات و المقامات و غيرها كما سبق لنا القول، ولا شك أن الأشكال الأدبية تظهر لحاجة ملحة في نفس الكاتب والمجتمع معا، وتتطلبها البيئة الثقافية والاجتماعية أو السياسية والأدبية، فقد يكون الواقع سببا من أسباب ظهور هذا اللون أو ذاك من الأدب، كأن تكون الرغبة قوية في استحداث طريقة جديدة للتعبير بعد أن يمل الناس الطريقة المألوفة في عصر الأديب فتصبح لا تثير في النفوس انفعالا، وقد يكون للسياسة دور في وجود شكل معين غير معروف من قبل، فيأتي الكاتب ليبدع طريقة جديدة خاصة به يعبر بها عن رأيه و فكره دون خوف أو عقاب، وقد يكون الدافع للبحث عن شكل جديد هو الواقع الاجتماعي الذي يتطلب أسلوبا خاصا لمعالجة مشاكله فيجذب القارئ ويتفق وذوق القراء وميولهم، كما يمكن للبيئة الثقافية أن تساهم في انتشار لون من ألوان الأدب، فقد ينتشر الشعر في فترة أكثر من انتشار النثر، وقد يحدث العكس فيعم النثر ويتراجع الشعر.. وفيما يتصل بأسلوب المناظرات في النثر الجزائري الحديث فإنه تقليد للقديم، لأنه يجاري ما عرف لدى القدماء من أساليب، وفي الوقت نفسه يدل على أن هذا الشكل طُوع للتعبير عن قضايا أحس الكاتب بأنها جديرة بالمعالجة، وإلى جانب أن استخدام هذا الأسلوب يبدو مشرقا نسبيا بالقياس إلى المقال الصرف، الذي لا يعتمد على حوار أو سرد قصصي أو مفاضلة بين أمرين، فضلا عن إيثار البراعة اللفظية والتلاعب بالكلمات، وإذا كنا لم نعثر على هذا الأسلوب سوى عند (الديسي)، فإن طريقة المناظرات الدينية قد انتشرت في بداية القرن العشرين لأسباب كثيرة، ويمكن القول إن الأسلوب القصصي سواء في المقامة أو في المناظرة قد مهد لظهور القصة القصيرة وأعد المناخ لها، كما أنه أسهم في تطور اللغة والأدب معا، بالرغم من ارتباطه بالتراث من حيث الشكل، ولكنه ساعد على بقاء اللغة العربية أداة للتعبير من جهة، وعالج موضوعات شتى، لها صلة بواقع المجتمع والإنسان في تلك المرحلة...

ـ المطلوب الاطلاع على المناظرة الموسومة ب(بين العلم والجهل) للشيخ (محمد عبد الرحمن الديسي) من أجل التعرف على المقومات الفنية لهذا نوع من النثر في الجزائر...

المحاضرة العاشرة

7 ـ أدب الرحلات: أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القدم، وهو فن له خصائصه ومميزاته، وهو كما يقول الدكتور (شوقي ضيف) يرفع التهمة التي ترى أن الأدب العربي لم يعالج فن القصة، لأن الحديث عن الأمم والبلدان، ووصف المجتمعات التي يمر بها الرحالة أو يقصدها إنما هو بصورة ما لون من ألوان القص، والواقع أن هذا الفن موغل في القدم، عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة والفينيقيين والرومان والإغريق، ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق، و اشتهر منهم كثيرون مشرقا و مغربا أمثال (ابن جبير) و(ابن بطوطة) و(الادريسي) و(العبدري) و(العياشي) وغيرهم، نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة، وشاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغتها الشعوب، وقد اعترف كثير من الباحثين الأجانب بفضل الرحالة العرب ونوهوا بقيمة رحلاتهم من حيث مادتها وأسلوبها وطريقة عرضها، وقد أسهم الرحالون الجزائريون في عصر الأتراك بمجهودات كثيرة في هذا المجال، ومارس هذا الفن كتاب كثيرون، ولا سيما تلك الرحلات الدينية التي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية والاجتماع بهم أو السفر لأداء فريضة الحج، وبعض هذه الرحلات طُبع حديثا والبعض الآخر لا زال مخطوطا حتى اليوم، ويمتاز أسلوب الرحلات عامة بالتسجيل والوصف الإنشائي التعبيري، ويعتمد على الملاحظة الدقيقة المباشرة أو على الخيال حين يكون الوصف للطبيعة أو الكون أو غيرهما مما ينفعل به الأديب الرحالة فيلونه بشعوره وإحساسه ويعطيه من نفسه الشيء الكثير.

ـ المطلوب التعرف عن قرب على مميزات أدب الرحلة في الجزائر من خلال الاطلاع على بعض النماذج...

8 ـ الخطابة: الخطابة، كما هو معلوم، من أقدم الفنون النثرية عند العرب، وقد انتشرت انتشارا ملحوظا في العصر الجاهلي لأنها تلائم ظروف ذلك العصر، إذ كان الخطيب، مثل الشاعر، لسان القبيلة المعبر عن مواقفها في السلم والحرب، و مع أننا لا نجد كثيرا من الخطب التي قيلت في ذلك الوقت لعدم التدوين حينذاك، فإن ما بقي من بعض الخطب يدل على القدرة على الارتجال التي امتاز بها العرب، ويؤكد ما اشتهر به العرب من فصاحة وبلاغة، ثم تطورت الخطابة بعد ظهور الإسلام وتغيرت في أسلوبها ومحتواها نظرا للعقيدة الجديدة وطريقة نشرها، ولكنها في العصر الأموي رجعت إلى ما يشبه عهد الجاهلية من حيث الدفاع عن القبيلة، ولكنها القبيلة السياسية أو الحزب السياسي، ووجد الخطباء مجالا خصبا في هذا الصراع الديني والسياسي بين الفرق الإسلامية، فاتسعت الموضوعات وتعددت الأساليب، وبرز خطباء لهم شهرة فائقة أمثال الحجاج بن يوسف الذي عرف بالبيان والفصاحة، وقد استمر الصراع أيضا في عهد العباسيين وتنوعت الثقافة العربية وتنوعت مشاربها لتستوعب ثقافات أخرى، الأمر الذي ساعد الخطابة على أن تصبح فنا منظما أكثر منه فنا مرتجلا، على أن العباسيين بمرور الزمن قضوا على الصراعات نسبيا، ومن ثمة اتجه الخطباء غالبا إلى الدين والوعظ والتنويه بالخلفاء، وحين تدهور الأدب العربي في العصور التالية حتى عصر الأتراك باتت الخطابة تقليدا أكثر منه إبداعا وفنا، ومالت إلى الرتابة فظهر التكلف في أسلوبها وطابعها العام، واقتصرت أغراضها على المناسبات الدينية، يكرر فيها الخطيب معاني السابقين ولكن بأسلوب ضعيف وصياغة جامدة، وكان يمكن أن تستمر الخطابة على هذا النحو في الجزائر بعد الاحتلال لولا ظهور(الأمير عبد القادر) و بعض المثقفين الجزائريين الذين ملكوا ناصية القول وأدركوا خطر الخطابة في الدعوة إلى الجهاد واستنفار الذين يحاربون الأعداء، خاصة وأن فترة الاحتلال كانت تساعد على هذا اللون من النثر، لأن الصراع بين الجزائر والاستعمار الفرنسي بلغ ذروته في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، مما أسهم في أن يتغير أسلوب الخطب ومضمونها أيضا، والنماذج التي بقيت من تلك الفترة تدل على أن الخطابة تحررت من أسلوب السجع المتكلف المقصود لذاته، ومالت إلى البساطة في التعبير والقصد في القول دون

إطناب إلا في المناسبات التي تتطلب الكثير من الإقناع، أما في الاستنفار إلى الكفاح والحرب وشحذ الهمم للدفاع عن الوطن ومقدساته فإن المجال يقتضي التركيز والإيجاز كما يقتضي أيضا التعابير الحماسية الفياضة، فخاصية الحماسة في تلك الخطب من أبرز السمات التي نجدها في إنتاج الخطباء في ذلك العصر، لأن الخطيب كان في موقف يحتاج معه إلى أن يدعو الناس إلى القتال ومكافحة الفرنسيين الغزاة، وهناك خاصية أخرى بارزة للعيان وهي أن النظرة الدينية تطغى في الخطب التي بقيت من تلك الفترة، فالنظرة الدينية كانت تغلب ليس على الخطباء وحدهم، بل على المجتمع الجزائري بوجه عام، إذ كان الغزاة في نظر الناس كفارا، جاءوا لاحتلال بلد عربي مسلم، ويتضح هذا في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي كان الخطيب يستشهد بها في موضوعه، أما الخاصية الثانية التي نلحظها في هذه الخطب فهي أن أسلوبها، كما أشرنا، واضح لا تكلف فيه، وأن السجع يأتي تلقائيا، والعناية به ليست مقصودة وإنما تأتي عفو الخاطر إلا في النادر، حين يقصد إليه الخطيب قصدا، لإظهار قدرته وبراعته في اللغة وتبحره فيها ومعرفته الواسعة بمفرداتها وأساليبها.. والواضح فإن الخطباء في تلك المرحلة قد خطوا بالخطابة خطوة طيبة من حيث الصياغة فتحررت من الركاكة والتعقيد والتراكيب المحفوظة، وأصبحت فنا هدفه الإبانة والإفصاح عن الرأي لا التلاعب بالألفاظ والتقليد الجامد للأقدمين.. وجملة القول أن الخطابة في النثر الجزائري الحديث إذا كانت قد استندت على التراث العربي القديم وتأثرت بالأساليب العريقة فيه، حيث استخدم أصحابها السجع أحيانا واستشهدوا بالقرآن أو الحديث أو الشعر، إلا أنها اختلفت من حيث المحتوى والموضوع والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى، فأعادت بذلك للأسلوب العربي مكانته في الأدب الجزائري، ولا تزال الخطابة في حاجة إلى دراسة أوسع وأشمل، لأن دورها لا يقل عن دور المقال في بث الأفكار والآراء السياسية والإصلاحية وتوعية الجماهير بالواقع المؤلم الذي عاشته الجزائر تحت الاحتلال.. وحين قامت ثورة نوفمبر فتحت مجالا جديدا خصبا للخطباء، واستخدمت الخطابة أداة ووسيلة لتعميق المفاهيم الثورية في أذهان جنود جيش التحرير وأفراد الشعب بوجه عام، أما بعد الاستقلال فإن الظروف تغيرت وتغير موضوع الخطابة لتغير الواقع، وربما أمكن القول بأنها ضعفت من حيث صياغتها لأن العناية بها من الناحية الأدبية الفنية قد قلت، واصبح الهدف هو التعبير عن الفكرة وتوصيلها إلى الجماهير بقطع النظر عن الجمال الأدبي أو عدمه، فقد اتجه الكتاب إلى أسلوب المحاضرات بدل الارتجال.. ومهما يكن من أمر، فإن الخطابة في الأدب الجزائري الحديث قامت بدور هام سواء فيما يتصل بالقضايا الاجتماعية أو السياسية للشعب، أو فيما يتعلق بالناحية الأدبية والثقافية، فقد أسهمت في تطوير اللغة العربية والإبقاء عليها وعلى مرونتها، كما أسهمت في نشر الأفكار والمبادئ والأهداف التي آمن بها الشعب وضحى من أجلها...

ـ المطلوب البحث عن بعد نماذج الخطب الجزائرية المتميزة في أسلوبها ومحتواها، وبالخصوص خطب البشير الإبراهيمي...

المحاضرة الحادية عشرة

9 ـ الرسائل: أما الرسائل فمع أن دورها أقل بكثير من دور الخطب، إلا أنها خدمت الأدب الجزائري الحديث بوجه من الوجوه في فترات معينة، والمعروف أن هذا اللون من النثر بدأ يزدهر في الأدب العربي منذ عصر التدوين، وخاصة حين أنشئت المكاتبات الديوانية، واتسعت رقعة الخلافة العربية الإسلامية فكان لا بد من كتاب ينقلون أوامر الخلفاء إلى الولاة، أو يشرحون شؤون السياسة والاجتماع، ومن هنا بدأت العناية بالرسائل وأساليبها، فالكاتب فضلا عن أنه يعبر فيها عن موضوعه الخاص، فإنه يجتهد في أن يكون أسلوبه جميلا مؤثرا متماسكا في صيغه ومحتواه، بحيث تبرز فيه شخصيته وأصالته وطريقته الخاصة في التعبير والإنشاء، وقد اشتهر في هذا المضمار كتاب بارزون أمثال (عبد الحميد الكاتب) و(ابن العميد) و(ابن المقفع) وغيرهم،

كما ظهرت المدارس الأدبية في النثر مثل مدرستي (القاضي الفاضل) و(ابن العميد)، و قد اتسمت كتابة الرسائل بخصائص معينة، منها الملاءمة بين الموضوع والأسلوب والعناية بالصياغة وبالسجع بوجه خاص، ومراعاة الفواصل بهدف إحداث المتعة الأدبية، ولكن بعد هذا أصبحت الكتابة تكلفا في هذه الخصائص، ومالت إلى إظهار البراعة اللفظية، كما كثر البديع بشتى أنواعه في أساليب الكتاب وتحجرت طرق البيان وتجمد الأدب العربي حتى بلغ نهايته في عصر الأتراك ومن قبله من عصر ما يسمى بالانحطاط، وعندما احتلت الجزائر عام 1830م كانت هناك بقية من هذه الأساليب قد انحدرت من عصر الحكم العثماني، كما بقيت آثار من الثقافة العربية الإسلامية، الأمر الذي لا يمكن معه البحث عن أسلوب جديد لفن الترسل في النثر الجزائري، غير أن هناك رسائل تعطينا صورة عما وصل إليه هذا النثر من ضعف، وفي الوقت نفسه فكرة عن مستواه من حيث الجودة الفنية أو عدمها ومن حيث الندرة أو الكثرة.. و يمكن التمييز بين اتجاهين في الرسائل من حيث الأسلوب، الاتجاه الأول هو الذي يبدي فيه الكاتب مشاعره ويعبر عن عواطفه كما تظهر فيه ثقافته وتمكنه من اللغة العربية واستيعابه لمفرداتها وأساليبها، وفي الوقت ذاته يدل على تأثر الأديب بطرق القدامى في رسائلهم وخصائصهم الفنية دون أن تذوب شخصيته أو تختفي وراء ركام الألفاظ والعبارات المنمقة، بل إن روح الأديب المنشئ تظهر قوية جلية بالرغم من روح العصر وضعف الأدب العربي في الجزائر في بداية الاحتلال، و يمثل هذا الاتجاه (حمدان خوجة) في رسالة تنسب له، والواقع أن هذا الكتاب الجزائري اشتهر بالإنتاج في غير الأدب، إذ كان يكتب في السياسة ومشاكلها والأحداث التي عاصرها أثناء احتلال بلاده، و لكنه في هذه الرسالة التي كتبها لشيخه (سيدي علي بن محمد) من (لندن) حين سافر إليها، نلمس جزالة في الأسلوب وهو يعبر له عن اعترافه بالجميل ويظهر وفاءه له وتعلقه به وشوقه إليه.. ومنذ البداية نلمس التقليد في خصائص هذا اللون من الأدب، فالكاتب يبدأ رسالته بالحمد والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يوجه الخطاب إلى شيخه يمدحه ويشيد بفضله عليه، كما يصف علمه وتدينه وتقاه، وكالعادة في ذلك الوقت فإن العالم أو الأديب يمدح بمدى قدرته على فهم الشريعة وإدراك (الحقيقة) التي هي التبحر في التصوف..

ـ المطلوب الاطلاع على هذه الرسالة لمعرفة خصائص فن الترسل في تلك المرحلة...

المحاضرة الثانية عشرة

أما الاتجاه الثاني فهو الذي يعمد فيه الكاتب إلى البساطة والوضوح دون قصد للجمال الأدبي ودون عناية كبيرة بالصياغة بحيث اختفى أسلوب السجع والبديع بشكل ظاهر، وطوعت فيه اللغة للتعبير بسهولة ويسر وفي بساطة تجعل منها أداة مرنة صالحة لصياغة المعاني الدقيقة و الأفكار العميقة، ويتضح هذا الأسلوب في رسائل (الأمير عبد القدر) للقائد الفرنسي (بيجو) ولغيره من الحكام الفرنسيين أثناء مفاوضاته معهم طوال الفترة التي حمل فيها لواء المقاومة ضد المستعمرين، فهو في هذه الرسائل قد خطا بالنثر خطوة واسعة قد حرره فيها من الأسلوب ومن الركاكة والتكلف، وجعل منه وسيلة للتعبير عن الأفكار الحديثة التي غزت الحياة السياسية والاجتماعية في تلك الفترة، إذ يشرح في رسائله موقفه من السلم والحرب وما يتصل بهما من ملابسات و معطيات... و إلى جانب هذين الاتجاهين وجد لون من الرسائل في أواخر القرن التاسع عشر لا يرقى إلى أن يكون أدبا أو فنا لا من حيث الأسلوب ولا من حيث الموضوع ولا أيضا من حيث المحتوى، فالأسلوب ضعيف وشخصية الكاتب باهتة، واللغة عادية متهافتة في أحيان وهو من نوع ما عرف بالإخوانيات أو الرسائل الإخوانية أو الموضوعات الخاصة بأصحابها، وهذه الرسائل في الواقع لا تدل على تفرد أو أصالة، وليس في أسلوبها ما يدعونا إلى الوقوف عندها، فهي لا تسهم لا في المحافظة على صيانة البيان العربي، ولا في تطور النثر الجزائري الحديث.. وقد تدهور أسلوب الرسائل بعد ذلك، تدهورا ملحوظا بحيث لا نجد في هذه الفترة إلا نوعا من الرسائل كتبها بعض الجزائريين لا يهدف التعبير عن الذات أو الكشف عما

في النفس، و إنما كتبت بقوالب محفوظة جاهزة يكتب على نسقها من وقعت له حادثة ويريد أن ينقلها إلى الإدارة مثلا، فهي رسائل للشكوى والتظلم أو لغير ذلك من الأمور العادية التي تحدث للناس يوميا، أما في ظل الحركة الإصلاحية فقد استعاد هذا الفن كثيرا من أصالته فيما يخص اللغة والعبارة، أما من حيث الأسلوب والطريقة فالواقع أن الرسائل أصبحت تميل إلى الوضوح والدخول مباشرة في الموضوع كما يتضح في بعض الرسائل القليلة المخطوطة مما كان يتبادله العلماء المصلحون في الثلاثينيات من القرن الماضي، وأهمية هذا النوع من الرسائل تكمن في الموضوعات والأفكار والقضايا التي شغلت رجال الحركة الإصلاحية وخاصة تلك التي تدعو إلى النهوض وإلى محاربة الأمية وتهتم بنشر التعليم و إصلاح المجتمع، على أنه يمكن القول بأن أسلوب الرسائل قد تطور في العصر الحاضر بالرغم من أن، النصوص لا تساعد على حكم موضوعي، لأن الكتاب فيها يطلقون أنفسهم على سجيتها ويعبرون فيها على آرائهم وأفكارهم وعن قضايا كثيرة بلا حرج أو خوف أو بهرجة، نظرا لظرفية تلك الرسائل وانتهاء صلاحيتها بانتهاء المهمة التي وجدت من أجلها...

ـ المطلوب الاطلاع على بعض رسائل الأمير عبد القادر مع الفرنسيين من أجل التعرف أكثر على خصاصها ومميزاتها الفنية...

المحاضرة الثالث عشرة

خلاصة: نظرا لما ذُكر في هذه المحاضرات ولجملة ما توصلتْ إليه من حقائق حول نهضة النص النثري الجزائري الحديث وتطوره والوقوف على أهم عناصره وأشكاه وفنونه، فإنه يمكننا القول إن مسيرة هذا النوع من الأدب تظل حافلة بفضل النصوص النثرية التي أبدعها أصحابها بداية من الثلث الأول من القرن التاسع عشر، حيث نسجل أغلب الفنون النثرية المعروفة سواء الكلاسيكية أو تلك التي ظهرت حديثان فمنها ذات المنحى القصصي أو السردي كالرواية والقصة والمسرحية والمقامة وأدب الرحلات...حيث تشترك مع بعضها في بعض المواصفات إلا أن مظاهر التجديد والحداثة بدت واضحة في بعض هذه الفنون، خاصة في القصة والرواية، نظرا لتأثر الكتاب الجزائريين بنظرائهم شرقا وغربا... ومنها ما ينحو إلى الأسلوب الإخباري المباشر، والذي يهدف إلى إيصال الفكرة دون الاكتراث كثيرا إلى الجوانب الفنية والجمالية، مثل المقال والرسائل والخطب... ومهما يكن من أمر بخصوص هذه الفنون مجتمعة مع ما طالها من القيم الجمالية التي اصطبغت بها كل الفنون الأدبية الحديثة والمستحدثة، فقد استعادت كثيرا من أصالتها فيما يخص اللغة والعبارة، أما من حيث الأسلوب والطريقة، فالكاتب فضلا عن أنه يعبر فيها عن موضوعه الخاص، فإنه يجتهد في أن يكون أسلوبه جميلا مؤثرا متماسكا في صيغه ومحتواه، بحيث تبرز فيه شخصيته وأصالته وطريقته الخاصة في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، وهذا ما يقترب بشكل أو بآخر إلى روح العصر التي بدأت تنادي بضرورة الاهتمام بروح الأدب ورسالته الفنية..

المراجع:

- عمر بن قينة، في الأدب الجزائر الحديث

- عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية

- خطب: ابن باديس ،البشير الإبراهيمي، مبارك الميلي، بعض رجال السياسة...

- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث

- عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية القصيرة.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي

- واسيني الأعرج ،اتجاهات الرواية العربية في الجزائر

- عبد الحميد بورايو، منطق السرد

- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث

- بشير بويجرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري

- روايات الطاهر وطار، واسيني الأعرج، بوجدرة،....

- محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث.

- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي

- فاطمة صغير، مظاهر أدبيّة النّص النّثري عند محمد البشير الإبراهيمي، عود الند، مجلة ثقافية فصلية، عدد9، 2018.

محاضرات النثر الجزائري الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ميلة الجزائر..